ابن تيمية

« حديث ألقاه الدكتور عدنان الخطيب مقرر لجنة القانون والعلوم السياسية في الإقليم السوري ، من اذاعة دمشق قبل البدء بأسبوع الفقه الإسلامي الذي أقامه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية من ١ — ٦ نيسان (ابريل) ١٩٦١ . »

قبر في حرم جامعة دمشق :

عندما اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش العثمانيين سنة ست وعشرين وتسعمائة للهجرة (١٥٢٠ للميلاد) أحب أن يخلد اسمه في دمشق ، كما فعل أبوه السلطان سليم بتشييده مسجداً وتكية على قبر الشيخ محيي الدين بن عربي فأمر ببناء مسجد وتكية على الضفة اليمنى لنهر بردى ، وتم تشييدها سنة ٩٦٣ للهجرة .

لقد أقيمت تكية السلطان سليمان القانوني في المرج الأخضر ، ظاهر مدينة دمشق ، من ناحية الغرب مكان القصر الأبلق الذي نزل فيه السلطان سليم عندما فتح دمشق ، وهو قصر ينسب للملك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي وقد أبدع المهندسون في تصميم التكية ، فكانت تحفة في فن البناء وتعتبر اليوم من أجمل الآثار في دمشق ، ومما زاد في جمالها ، موقعها بين نهري بردى وبانياس تمص الماء من هذا لتلقيه في ذلك بعد أن يجري متدفقاً في حوضها الواسع روعة للناظرين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإلى الجنوب والغرب من تكية السلطان سليمان ، تعلو هضبة تشرف على « صدر الباز »[1] يسقي أشجارها ، ويروي رياضها ، ما يجري فيها من ماء نهر « القنوات » الذي يشقها من عل ، حتى إذا ما فاض في جوانبها انحدر إلى « بانياس » رافدا ومعينا .

وفي أوائل هذا القرن بنت الدولة في منتصف الهضبة ، إلى الغرب بعشرات الأمتار من التكية السليمانية ، ثكنة للعساكر ، أطلق عليها اسم « الثكنة الحميدية » نسبة إلى السلطان الذي كان على عرش العثمانيين يومذاك ، كما قامت بلدية دمشق بانشاء مستشفى في أول الهضبة بمحاذاة التكية من ناحية الجنوب اسمته كذلك « المستشفى الحميدي » وأطلق الناس عليه اسم « مستشفى الغرباء » وأسمته الحكومة السورية بعدئذ « المستشفى الوطني » ملحقة به « معهد الطب العربي » جاعلة ما بين الثكنة والمستشفى حديقة له ، يفصلها عن الثكنة طريق تواجه الصاعد فيه ، وعلى بعد مائة متر تقريباً ، محطة للسكة الحديدية أقيمت في أوائل هذا القرن أيضاً ، ليقف فيها القطار الذاهب إلى بيروت ، يوم كان القطار أكثر وسائل السفر سرعة بين بلدين وأكثرها راحة للمسافرين .

لقد كان القطار يقف في المحطة ، ليحمل الناس إلى بيروت وغيرها من المدن التي يمر فيها ، وإذا ما جاء بهم منها إلى دمشق تركهم ينزلون ليواصل سيره إلى محطة أخرى في الميدان « تبعد بضعة كيلو مترات إلى الجنوب من وسط المدينة ، وكانت محطة القطار تعلوها لافتة كتب عليها محطة البرامكة » ونسبت

(١) يطلق الدماشقة هذا الاسم على ما تبقى من المرج الأخضر مما يلي « طاحونة كيوان » حتى التكية السليمانية كناية عن سمته واعتقاداً منهم أن « الباز » وهو لقب لأحد الأولياء كان واسع الصدر كريم الخلق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلى « البرامكة » لأن الناس عرفوا الأرض هناك مقبرة للبرامكة أما التاريخ فقد عرفها في كتبه باسم « مقابر الصوفية » .

لقد كانت مقابر الصوفية ، تنتشر على رقعة واسعة من تلك الهضبة ، ثم درست أكثر القبور واقيمت الأبنية مكانها ، وهكذا شيدت الجامعة السورية إلى جانب المستشفى الوطني ثم شيدت دار التوليد ومدرسة الممرضات ، ومن وراء ذلك إلى الجنوب أقيمت مبان تابعة للمستشفى الوطني ، كما بنى الجيش عمارة له ، من قبل أن تصبح الثكنة الحميدية من المباني الجامعية ، كل هـذا إلى جانب بيوت وعمارات وبساتين اختلس أرضها أفراد من الناس ، كعادة الناس في الجرأة على أموال الأوقاف عرفنا منها بستان الأعجام وفي جوانبه بعض القبور ومع جذور أشجاره كانت تخرج بعض العظام .

لقد حفظت كتب التاريخ أسماء مئات من العلماء والأدباء الدماشقة على أنهم دفنوا في مقابر الصوفية ، ولكن جميع القبور فيها اندرست ، أو درسها من له في درسها مصلحة ، إلا بضعة قبور هبت طائفة من علماء دمشق ومفكريها ، للدفاع عنها وحمايتها ثم تجديدها والعناية بها ، وكل ذلك لأن أحدها يضم رفات عظيم من عظماء دمشق وعالم في مقدمه فحول علماء الاسلام ، وفقيه من كبار فقهاء الشريعة المحمدية .

ان من يدخل اليوم حرم جامعة دمشق ويجول بين عماراتها يجد ما بينها إلى أقصى الجنوب من حدودها ، حديقة صغيرة تقوم في وسطها ثلاثة قبور أحجار أحدها من عصرين مختلفين ويشير واحد منها إلى أنه كان على قبر أحد قضاة الحنابلة بدمشق ، وأحجار القبر الثاني لا تدل على شيء ما ، أما القبر الثالث ، وهو الأكبر بينها ، فهو من الحجر المزي تعلوه نصبة (شاهدة) جديدة من الرخام كتب عليها (شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية ـ ٧٢٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حزن دمشق لوفاة سجين فلعصرها :

لقد ذكر المؤرخون لوفيات القرن الثامن الهجري أن الناعي نعى يوم العشرين من شوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (١٣٢٨ للميلاد) الشيخ احمد تقي الدين أبو العباس بن تيمية وهو سجين في قلعة دمشق ، فهبت المدينة مذعورة ، وخرجت بشيبها وشبابها ، برجالها ونسائها وأطفالها ، تشيع والدموع في مآقيها والحزن مخيم عليها ، فقيدها الكبير شيخ الاسلام ابن تيمية .

فمن هو ابن تيمية هذا ؟ وما هي قصته : ؟ ولماذا سجن وما الداعي لحزن دمشق عليه يوم مات وحماية قبره بعد سبعة قرون ، لم ينسه فيها أحد يعرف دينه أو حقه كما نص عليه القانون ؟

المهاجر الصغير :

كانت البلاد الاسلامية في القرن السابع الهجري ممزقة إلى دول وأمارات مثخنة بجراح الصليبيين والتتار يغيرون على جوانبها يقتلون ويحرقون ، وفي يوم من أيام سنة ثمان وستين وستمائة ، صاح المنادي في مدينة حران في الجزيرة أقصى بلاد الشام ، بالويل والثبور والخطر الداهم ، فالتتار وصلوا مشارف المدينة مغيرين عليها ، لا دين يمنعهم ، ولا ضمير يردعهم ، عن ما حرم الله من نفس تزهق أو مال ينهب أو يحرق ، فدب الذعر في النفوس وهاج الناس وماجوا ، وأخذوا يحملون ما غلا ثمنه وخف وزنه ، ويفرون من وجه المغيرين تاركين ما لم يستطيعوا حمله ، ومن لم يستطع الهرب عد في الهالكين .

وكان من الناجين بأرواحهم وبعض متاعهم أسرة هربت تقصد دمشق في الجنوب ، وكان من أفرادها طفل في السابعة من عمره ، إذ ولد في العاشر من شهر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة للهجرة ، (١٢٦٣ م) فسماه أبوه احمد تقي الدين .

وكانت رحلة الأسرة الحرانية شاقة في دروب عسيرة ، الأمان عليها مفقود ، والناجي من أيدي التتار مولود ، وقد زاد في مشاقها ، ما تحمله الأسرة من كتب أبى ربها الا أن يحملها معه فهي عنده كأولاده في حبه لهم وخوفه عليهم ، فلما وصلت الأسرة دمشق ، اطمأنت قلوبها وارتضتها مقاما وسكنا ، فاذا بفضل الأب قد ذاع ، وبعلمه قد اشتهر ، فتولى التدريس في جامع دمشق الكبير .

النبوغ المبكر :

وشب الطفل في كنف أبيه طالبا للعلم ، حافظا لكتاب الله وحديث رسوله الكريم ، حتى أصبح حجة فيهما ، ونبغ في قوة الاستدلال بهما على أحكام الشريعة ، حتى أفتى ودرس وهو دون العشرين من عمره ، هذا الصبي هو الشيخ أحمد تقي الدين بن تيمية ، أحد المجتهدين في مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وفي طليعة العلماء المدافعين عن سنة الرسول ﷺ ، حارب التتار ومن والاهم وحارب البدع وأهل الضلال ، ودعا للأخذ بنصوص الكتاب والسنة ، وأفتى بما يعتقد أنه متفق وأحكامها ، وان خالف رأي الأئمة السابقين ، فأغضب بعض الشيوخ وأعوان السلطان ، فوشوا به فاعتقله في قلعة دمشق حتى مات .

ذكرى وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية :

لقد مضت على وفاة ابن تيمية ستة قرون ونصف ، فأحب المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، الاحتفال بذكرى هذا الإمام العظيم ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وزيارة قبره ، أثناء أسبوع الفقه الإسلامي الذي دعا المجلس إليه رجال الفقه والقانون في مختلف البلاد العربية والاسلامية ، كما دعا إليه بعض المستشرقين الأجانب .

إن أسبوع الفقه الاسلامي سيقام على مدرج جامعة دمشق ابتداء من يوم السبت في السادس عشر من شوال سنة ١٣٨١ للهجرة الموافق للأول من نيسان (ابريل) ١٩٦١ للميلاد ، وسنلقي يوم الاحتفال بذكرى وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية أبحاث ومحاضرات سيعرف الناس منها موجزاً لحياته ، وشيئاً عن عبقريته وأفكاره ، وسيلمون ببعض آرائه ، ولماذا أغضب من غضب ، وماذا ترك من علم يخلد ذكر الانسان بأقل منه ، ولماذا قرر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الاحتفال بذكرى هذا الامام المصلح والمفكر الثائر .

عدنان الخطيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net